الشخصية أو عواطف أو تجارب ، ومثل هذا ما ارتجله دويد بن زيد بن نهد القضاعي وهو يتهيأ للموت (١) :

اليومَ يُبْنَى لِدُوَيد بَيْتُهُ لَوْ كَانَ لِلدَّهْرِ بِلًى أَبْلَيْتُهُ
أَوْ كَانَ قِرْنِي وَاحِدًا كَفَيْتُهُ يَارُبَّ نَهْبٍ صَالِحٍ حَوَيْتُهُ
وَرُبَّ عَبْلٍ خَشْنٍ لَوَيْتُهُ (٢)

ويحسن أن نأتي في هذا المقام على ذكر بعض البحور الهامة في الشعر العربي كالكامل والوافر والطويل والبسيط والخفيف وغيرها ، وايثاراً للاختصار أحيل القارىء إلى البحث الوافي عن هذا الموضوع في مقدمة سير شارلز ليل في كتابه Ancient Arabian Poetry (ص ٤٥ - ٥٢) . وكل البحور قياسية كما هو الحال في الأغريقية واللاتينية . وقد استنبط قواعد العروض من القصائد القديمة لأول مرة ونظمها ورتبها الخليل بن احمد اللغوي (٧٩١ م) الذي يقال إن الفكرة طرأت له حينما شاهد حداداً يضرب بمطرقته على السندان

ولا بد لنا الآن من أن نبحث في نظام وموضوع هذه الأشعار التي تعد أقدم ما في التراث العربي ، فبين هاته النصوص البالغة حد الإتقان والروعة وبين شواهد السجع أو الرجز التافهة بون شاسع ليس من اليسير تحديده . وأول من نعرف من الشعر هؤلاء الذين تلوح في آثارهم إجادتهم لصناعتهم وإبداعهم فيها ، وإن عدد الموازين التي يستعملونها وتعقدها وقوانينهم الثابتة عن الكمية ، والطريقة (٣) المألوفة التي كانوا يستهلون بها قصائدهم بالرغم من الفترة التي بين كل ناظم وآخر ، هذه تحتاج إلى دراسة طويلة واندماج تام في تعرّف فنّ التعبير للغة واتساع نطاقها وطلاقتها ، وهي دراسة قل أن نجد بين أيدينا اليوم ثبتا يساعدنا عليها » (٤)

« يتبع »

محمد حسن عبسى

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ج ١ ص ٣٦ س ٣ — ٥

(٢) وقد ذكر في بعض المواضع الاخرى كالقاموس ، ورب فيل حسن لويته ، بدلا من « ورب عبل خشن لويته » الترجم

(٣) كما في قول عنترة في القرن السادس الميلادي حيث شكا ان اسلافه لم يتركوا له شيئا بقوله :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

(4) Charles Lyall: Ancient Arabian Poetry, P. XVI.

٨ . ٢٠

اليهـــا !

للأستاذ أمجد الطرابلسي

حبيبي ! إنْ بدا الفجرُ ورفَّ كثغرك الزَّهرُ
وغنَّى الطيرُ مخموراً لحوناً كلُّها خمرُ
فـــلا تأسَ على أيا منا الفَرحى ولا تعتبْ
هو الدّهرُ ! ومنْ للدَّهـــرِ إن أخطأ أو أذنبْ ؟
حبيبي ! إنَّ في قلبي ظلاماً مالهُ فجـــرُ
ولولا طيفُكَ الخطَّا رُ ما شعَّ به كوكبْ !

* * *

حبيبي ! بان لي الكونُ ولمْ أكُ مدركاً بعضهْ
عرفتُ نجومهُ الحيْرى عرفت زهورَه الغضَّه
عرفت النسمةَ الفرحى عرفت البلبلَ الشادى
عرفت الحـــلمَ الزاهى عرفت الأمل الحـادى
نشيدَ الروح ! هل كنّا سوى طيرين في روضهْ ؟
فمن ظلٍّ إلى ظلٍّ ومن وادٍ إلى وادِ ...

* * *

أأيامَ الهوى البرِّ وأمســـياتِه الحلْوَهْ !
جفَوْتِ ولم يذقْ طفلا كِ بعدُ لذاذة الصَّبْوه
حبيبي ! ياترى هـل تســـعدُ الأيّامُ قلْبينا ؟
فنأسو الجرحَ والذكرى ونسلو الغمَّ والبَينا . . .
ألسنا في الشبابِ الحلـــو زَنْبَقَتَيْنِ في ربوه ؟
فما للعاصفِ المجنو نِ يفرقُ بينَ غصْنينا ؟

* * *

حبيبي ! إن دجا اللّيلُ وطافتْ بكَ أشباحُه
وأورى طرفك الساجي جوى البعدِ وأتراحه
فإنّي بينَ أترابي وأصحابي وإخواني
غريب مُلْهَبُ الأجفا ن وارى القلب كالعاني !
حبيبي ! إنَّ ليلَ الحبّ جرحُ القلب مصباحُهْ
وهل يعبق نشر العو د إلا وسْطَ نيران